لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته"[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤ \ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

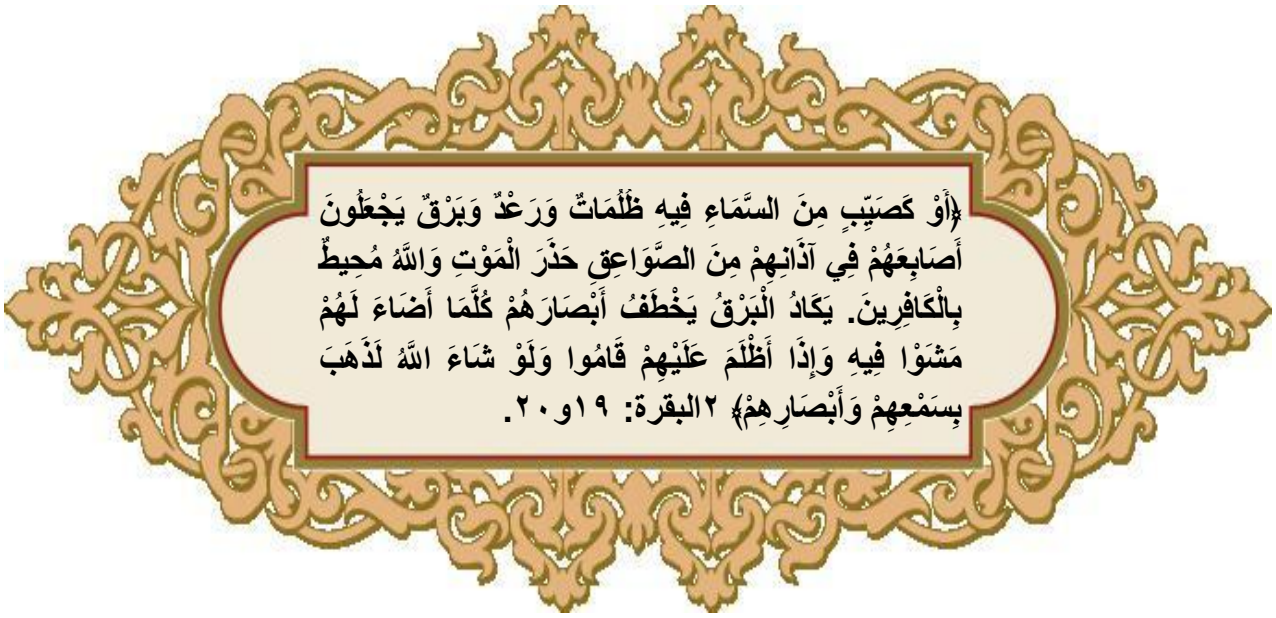

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ. مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢البقرة:٨-٢٠.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾، ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

Or, it is like a (Cumulous) **heavy rain cloud with thick darkness and thunder and lightning;** (then irrationally) **they put their fingers into their ears because of the thunder claps for fear of death, but ALLAH** (Power) **encompasses the disbelievers. The lightning might well nigh snatch away their sight; whenever it shines upon them, they walk therein; and when it becomes dark to them, they stand still. And if ALLAH wills HE could take away their hearing and their sight; surely ALLAH has the power to do all that HE wills.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

ظَلَّ البرق Lightening ظاهرة غير مفهومة؛ وإلى عهد قريب لم يوجد لتفسيرها سوى التخمين والأساطير، وفي عام ١٧٥٢ استخدم بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin (١٧٠٦ - ١٧٩٠) طائرة ورقية أثناء عاصفة فتولدت شرارة كهربية؛ وقيل أن الطائرة احترقت، وبنجامين فرانكلين هو أول من استخدم كلمة كهرباء Electricity، وأصلها الكلمة الإغريقية كهرمان Electron، وحَكُّهُ بالصوف يجعله يجذب الأجسام بشحنة كهربية، وهو مادة صمغية لأشجار مطمورة متحجرة ويستخدم في صناعة الحُلِي، والبرق والرعد والصاعقة ظواهر تحدث في آن واحد بسبب التفريغ الكهربي بالسحابة؛ لكن ضوء البرق الأسرع من صوت الرعد يصل أولا للراصد؛ وبتعيين الفارق بينهما في زمن الرصد يُمكن تحديد بُعد السحابة، وإذا بلغ البرق أي حي على الأرض يُمكن أن يصعقه فيسمى صاعقة، ويقع أغلب البرق في السحابة ولا ترى انعكاساته إلا كظلمات ويعقبها هدير الرعد؛ قبل أن يقع خارج السحاب ويصبح مرئيا.

يقع أغلب البرق أعالي السحابة ولا يرى إلا انعكاساته بهيئة ظلمات؛ أي درجات من الظلمة.

وفي النظم تَرِد الألفاظ (ظلمات ورعد وبرق) بنفس ترتيب استقبال الراصد لها في الواقع، فكلمة (ظلمات) تشير لدرجات من الظلمة لا تكون إلا في وجود مصدر ضوئي هو البرق؛ فتعني وقوعه أعالي السحابة، يليه هزيم الرعد، ثم يليه لمعان البرق ليعني إمكان رؤيته خارج السحابة، والمعلوم حاليا أن الضوء أسرع من الصوت بمرات عديدة؛ وتقديم النظم للوميض الخفي إذن يعني موافقة الواقع، ولم يقدم الدليل على تحرك الضوء بسرعة غير لحظية إلا عام ١٦٧٦ عندما نجح الفلكي أولاس رومر Olas Roemer للمرة الأولى في التاريخ من قياسها وإثبات أنها محدودة[٣].

[٣] موسوعة اكسفورد ص٣١٦.

أما الصاعقة فخطرها مُميت بسبب الصدمة الكهربية والاحتراق، وناسبه التَّهَكُّم بهم لتجنبها بوضع أنمل في كل أذن كما يحدث مع الرعد، وتؤكد المبالغة في النظم بوضع كل الأصابع استحالة النجاة: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وفي التصوير: سحاب مظلم كثيف مطره غزير؛ نعمة تنتظرها البوادي، لكنه يُصدر هديرًا يكاد يصم الآذان وبرقًا يكاد يخطف الأبصار؛ وأما خطر الهلاك بالصواعق فوشيك، وفي ليل داجي مفعم بالحيرة وترقب الخطر ومضات لا تكفي لاهتداء، فأي أحمق إذن يحتمي بالهلاك!، وإذن مثل المنافقين هذا: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ مماثل للأول: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وهو ترك الأمان والنجاة؛ والتهرب إلى ظلمة البيداء حيث الحيرة والضلال وخطر الهلاك.

وتنطبق صفات السحاب في التمثيل؛ على نوع الركام Cumulus الأشبه بالجبال، ويتميز بالضخامة والامتداد وكثافة الهطول؛ وبالرعد والبرق مع توفر البَرَد مصدر خطر على من يسقط عليه لإمكان بلوغه أحجام كبيرة، وهو أيضا مصدر شحنات الكهرباء الصاعقة، فمع صعوده ونزوله في السحابة تتوزع الشحنات الكهربية المتعاكسة، فالبرد إذن هو أساس تكوين البرق، وهو لا يتكون إلا في سحاب الركام؛ وقد يسبب العمى المؤقت من شدة اللمعان.

والتعبير بلفظ (صَيِّبٍ) بليغ؛ فهو يتضمن معنى التهديد والإصابة الموجهة على من يشاء القدير، ويفسره ما بعده: (فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ)، وتلك الأوصاف أليق بالسحاب، لكنه يعني النوع الثقال والأكثر مطرًا وخطرًا؛ كما في قول العلي القدير: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣، وتعبير (مِنَ السَّمَاءِ) يعني هنا الابتداء والإمتداد؛ كأنه قد غطى جوانب الافق، وتنكير (ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ) للتهويل بيانًا للشدة، وجعل الأصابع في الآذان تأكيد لشدة الرعد، والعبارة (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) تأكيد لشدة البرق، ويتفق المعنى مع المعرفة الحديثة بإمكان الإصابة بالصمم وتدمير طبلة الأذن مع شدة الصوت كصوت الانفجار؛ وإمكان الإصابة بالعمى المؤقت مع اللمعان القوي المفاجئ للبرق لاستنفاذ كيميائي في شبكية العين يعطلها عن الإبصار.

وفي قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾؛ التعبير بلفظ (الخطف) تصويري، ويعني سلب شيء والابتعاد به سريعًا، فإذا لم يحدث سلب؛ فالرجوع محقق نحو السحاب، وهو تعبير وصفي دقيق يتفق مع كيفية حدوث البرق، ومثله بيان خطر الصواعق بتعبير الإذهاب بالشيء، فقد ورد في سياق الإتلاف متضمنًا معنى الرجوع: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾، وقد ثبت حديثا أن البرق الذي نراه بالعين المجردة نازلاً؛ هو في الحقيقة راجعًا نحو السحاب، والسبب أن السحابة تشحن الجو الرطب أسفلها؛ فإذا قاربت مرتفع من الأرض ارتفعت شحنة معاكسة بسرعة وحدث التفريغ الكهربي على طول المسار نحو السحابة، وفي رواية مسلم: "ألم تروا إلى البرق كيف يَمُرُّ وَيَرْجِعُ في طرفة عين"، ولعل الإلحاح في بيان خطر الصواعق بتعبير (الأخذ) يشير إلى نفس المعنى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ٢البقرة:٥٥، ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٤، ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ ٤النساء:١٥٣، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٤١فصلت:١٧، ولم يعرف أحد برجوع البرق إلا بعد ظهور أجهزة التصوير السريع التي تلتقط أكثر من ألف صورة في الثانية، فإذا لم يكن محمدًا (ﷺ) مرسلاً من عند الله تعالى، فمن أين إذن جاء بهذه المعرفة التي لم ترد قبلا على خاطر بشر ولا في أي كتاب آخر ينسب اليوم للوحي!.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال القاسمي: "و(الصيب) السحاب ذو الصوب؛ والصوب المطر..، كما قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ الواقعة:٦٩..، (و) (فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ): التنوين في الكلّ للتفخيم والتهويل؛ كأنّه قيل: فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف، (يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ).. جملة اعتراضية منبّهة على أنّ ما صنعوا من سدّ الآذان بالأصابع لا يغني عنهم شيئا..، وهذا تمثيل لشدّة.. التحيّر..، (وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ) أي لزاد في قصيف الرعد فأصمّهم، أو في ضوء البرق فأعماهم..، (و) في التمثيل.. تشبيه دين الإسلام.. بالصيّب..؛ وما فيه من الوعد والوعيد"[٤]، وقال محمد رشيد رضا: "(و) الصَّاعِقَةُ هِيَ مَا كَانَ يَعْرِفُهُ الْعَرَبُ وَيَعْرِفُهُ كُلُّ وَاحِدٍ، وَهِيَ مَا يَنْزِلُ فِي أَثْنَاءِ الْمَطَرِ وَالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ فَيَصْعَقُ مَا يَنْزِلُ بِهِ..، وَإِنَّمَا تُذْكَرُ الظَّوَاهِرُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ لِأَجْلِ الِاعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَصَرْفِ الْعَقْلِ إِلَى الْبَحْثِ الَّذِي يَقْوَى بِهِ الْفَهْمُ وَالدِّينُ..، وَتَصَوَّرْ كَيْفَ يَهْوُونَ بِأَصَابِعِهِمْ إِلَى آذَانِهِمْ كُلَّمَا حَدَثَ قَاصِفٌ مِنَ الرَّعْدِ لِيَدْفَعُوا شِدَّةَ وَقْعِهِ بِسَدِّ مَنَافِذِ السَّمْعِ بِرُءُوسِ الْأَنَامِلِ، وَعَبَّرَ عَنِ الْأَنَامِلِ بِالْأَصَابِعِ هَذَا التَّعْبِيرَ الْمَجَازِيَّ.. لِلْإِشْعَارِ بِشِدَّةِ عِنَايَتِهِمْ بِسَدِّ آذَانِهِمْ"[٥].

وقال الرازي: "شَبَّهَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِالصَّيِّبِ..؛ (و) يُقَالُ لِلسَّحَابِ صَيِّبٌ.. وَتَنْكِيرُ صَيِّبٍ لِأَنَّهُ (ذو) نَوْعٌ مِنَ الْمَطَرِ شَدِيدٌ هَائِلٌ..، (و) لَمَّا قَالَ (مِنَ السَّماءِ) دَلَّ عَلَى أَنَّهُ عَامٌّ مُطْبِقٌ آخِذٌ بِآفَاقِ السَّمَاءِ..، (وقد) جَاءَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مُنْكَّرَاتٍ.. كَأَنَّهُ قِيلَ فِيهِ ظُلُمَاتٌ دَاجِيَةٌ وَرَعْدٌ قَاصِفٌ وَبَرْقٌ خَاطِفٌ..، (و) إِذَا حَصَلَ السَّحَابُ الَّذِي فِيهِ الظُّلُمَاتُ وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ.. (حينئذٍ) الْبَرْقَ يَكَادُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ، فَإِذَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ، وَإِذَا ذَهَبَ بَقُوا فِي ظُلْمَةٍ عَظِيمَةٍ فَوَقَفُوا مُتَحَيِّرِينَ؛ لِأَنَّ مَنْ أصابه (ضوء) الْبَرْقُ.. ثُمَّ ذَهَبَ عَنْهُ تَشْتَدُّ حَيْرَتُهُ وَتَعْظُمُ الظُّلْمَةُ فِي عَيْنِهِ..، فَشَبَّهَ الْمُنَافِقِينَ فِي حَيْرَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ بِالدِّينِ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ، إِذْ كَانُوا لَا يَرَوْنَ طَرِيقًا وَلَا يَهْتَدُونَ..، (و) الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: (كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ)؛ أَنَّهُ مَتَى حَصَلَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَهِيَ عِصْمَةُ أَمْوَالِهِمْ وَدِمَائِهِمْ وَحُصُولُ الْغَنَائِمِ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ يَرْغَبُونَ فِي الدِّينِ، (وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا): أَيْ مَتَى لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْمَنَافِعِ؛ فَحِينَئِذٍ.. لَا يَرْغَبُونَ فِيهِ"[٦].

وقال المراغي: "(يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ) أي: يجعلون أنامل أصابعهم في آذانهم كلما حدث قاصف من الرعد ليدفعوا شدة وقعه بسد منافذ السمع، خوفا على أنفسهم من الموت، مع أن سد الآذان ليس من أسباب الوقاية من الصاعقة حتى يدفع عنهم الموت..، (يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ) أي: يكاد البرق يختلس أبصارهم، ويستلبها بسرعة من شدة الضوء المفاجئ، (كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ) أي: كلما أنار البرق الطريق في الليلة المظلمة مشوا..، (وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا) أي.. وقفوا.. متحيّرين..، (وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصارِهِمْ) أي: ولو شاء أن يذهب الأسماع والأبصار بصوت الرعد ونور البرق لفعل"[٧].

---

[٤] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلميه بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١١ ٢٥٩).

[٥] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١١ ١٤٧).

[٦] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٢ ٣١٥ و٣١٦).

[٧] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١١ ٦١).

وقال ابن عاشور: "شَأْنُ (أَوْ) إِذَا جَاءَتْ فِي عَطْفِ التَّشْبِيهَاتِ أَنْ تَدُلَّ عَلَى تَخْيِيرِ السَّامِعِ أَنْ يُشَبِّهَ بِمَا قَبْلَهَا: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) وَبِمَا بَعْدَهَا: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ).. أَيْ مَعَ اتِّحَادِ وَجْهِ الشَّبَهِ"[٨]، "كَرَّرَ تَشْبِيهَ الْمُشْرِكِينَ فِي إِعْرَاضِهِمْ.. إِطْنَابًا فِي تَشْنِيعِ حَالِهِمْ"[٩]، "وَ(مِنْ) فِي قَوْلِهِ (مِنَ السَّماءِ) ابْتِدَائِيَّةٌ لِأَنَّ مَاءَ الْمَطَرِ يَتَكَوَّنُ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ الْعُلْيَا الزَّمْهَرِيرِيَّةِ عِنْدَ تَصَاعُدِ الْبُخَارِ الْأَرْضِيِّ إِلَيْهَا فَيَصِيرُ الْبُخَارُ كَثِيفًا وَهُوَ السَّحَابُ ثُمَّ يَسْتَحِيلُ مَاءً؛ فَالسَّمَاءُ اسْمٌ لِأَعْلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ حَيْثُ تَتَكَوَّنُ الْأَمْطَارُ"[١٠]، "وَالْمُرَادُ بِالسَّمَاءِ هُنَا إِطْلَاقُهَا الْعُرْفِيُّ عِنْدَ الْعَرَبِ وَهُوَ مَا يَبْدُو لِلنَّاظِرِ كَالْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ وَهُوَ كُرَةُ الْهَوَاءِ الْمُحِيطِ بِالْأَرْضِ"[١١]، "وَاقْتُصِرَ فِي الْعِبْرَةِ بِالصَّوَاعِقِ عَلَى الْإِنْذَارِ بِهَا لِأَنَّهَا لَا نِعْمَةَ فِيهَا لِأَنَّ النِّعْمَةَ حَاصِلَةٌ بِالسَّحَابِ..، وَكَانَ الْعَرَبُ يَخَافُونَ الصَّوَاعِقَ"[١٢]، "وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ يَنْشَآنِ فِي السَّحَابِ مِنْ أَثَرِ كَهْرَبَائِيٍّ..، وَالصَّوَاعِقُ جَمْعُ صَاعِقَةٍ وَهِيَ نَارٌ تَنْدَفِعُ مِنْ كَهْرَبَائِيَّةِ الْأَسْحِبَةِ..، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الرَّعْدَ وَالْبَرْقَ.. بَلَغَا مُنْتَهَى قُوَّةِ جِنْسَيْهِمَا بِحَيْثُ لَا يَمْنَعُ قَصِيفُ الرَّعْدِ مِنْ إِتْلَافِ أَسْمَاعِ سَامِعِيهِ، وَلَا يَمْنَعُ وَمِيضُ الْبَرْقِ مِنْ إِتْلَافِ أَبْصَارِ نَاظِرِيهِ؛ إِلَّا مَشِيئَةُ اللَّهِ.. تَهْدِيدٌ لَهُمْ.. إِنْ لَمْ يَبْتَدِرُوا.. لِلتَّبَصُّرِ فِي الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ وَسَمَاعِ الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَنِ الْأَمْرَيْنِ كَانُوا أَحْرِيَاءَ بِسَلْبِ النِّعْمَةِ"[١٣].

[٨] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٢٥٤).
[٩] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣٦).
[١٠] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣٩٨).
[١١] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣٣١).
[١٢] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ١٠٥).
[١٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١\ ٣١٤-٣٢٣).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Meteorology

علم الأرصاد

المَوْضُوع Subject

Cumulus Clouds

سحب الركام

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ٢البقرة:١٧.**
- **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ٢البقرة:٥٥.**
- **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٦٥.**
- **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ٤النساء:١٥٣.**
- **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٢٤النور:٤٣.**
- **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٤١فصلت:١٧.**
- **﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ٥١الذاريات:٤٤.**